الواقع الراهن للسياحة الدينية في العراق والعوامل المؤثرة فيه..دراسة تحليلية نقدية

The current reality of religious tourism in Iraq and the factors affecting it...acritical analytical study

أ.د. فائزة تومان عليوي
كلية الآداب
الجامعة المستنصرية

Prof. Dr. Faeza Tuman Aliwi
college of Literature
Mustansiriyah Universityah
Faeza.alshemeri@gmail.com

الملخص:

مما لاشك فيه أن العراق هو أحد أهم البلدان السياحية في منطقة الشرق الأوسط نظرا لما يتمتع به من مواقع سياحية كثيرة ومتنوعة تمتد على طول مساحته الجغرافية من أقصى شماله إلى أقصى جنوبه وتشمل المواقع الأثرية – التاريخية والمزارات الدينية والأضرحة المقدسة والكنائس ومقام ابراهيم الخليل عليه السلام، وقد اتخذت السياحة في العراق شكلا جديدا ومسارا مغايرا لما كانت عليه قبل تاريخ 2003 حيث أسهمت عوامل كثيرة ومختلفة أثرت فيه سلبا وإيجابا ولاسيما السياحة الدينية التي اتخذت نسقا واحدا وتقولبت فيه على مدى عشرين عاما ولم تعمل الجهات المعنية بشقيها (هيئة السياحة ومؤسساتها الفرعية أو الأوقاف الدينية بكل مصنفاتها) على تنميتها وتطويرها وفق مقتضيات العصر وبما يواكب برامج السياحة الدينية الحديثة في دول كإيران وتركيا والسعودية، وبما يصب في التنمية الاقتصادية للعراق وهو أمر يتعلق بالدرجة الأولى بالبرنامج الحكومي وسلطته السياسية التي وجهت كل اهتمامها نحو توفير الأمن والدعم اللوجستي للمناسبات الدينية الكبيرة التي شهدت أعدادا غير مسبوقة من السواح ومن مختلف البلدان.إن هذا البحث يقدم دراسة تحليلية نقدية لواقع السياحة الدينية في العراق الإسلامية والمسيحية لما لها من أهمية كبيرة تتمثل في أبعادها التاريخية والدينية والأثرية على حد سواء. وقد أكدت زيارة قداسة البابا لمقام ابراهيم الخليل (ع) والمواقع الأثرية المحيطة به، على أهمية المزارات الدينية المسيحية أيضا لما لها من تأثير دولي. وتتطرق الدراسة كذلك الى أهمية العوامل المؤثرة والفعالة في السياحة الدينية ويأتي في طليعتها العامل السياسي والأمني ثم يليها الدورالإعلامي

المهم الذي تقع على عاتقه مسؤولية الترويج للسياحة واستقطاب أكبر عدد من السواح في الداخل والخارج.

الكلمات المفتاحية: السياحة الدينية، الأضرحة المقدسة، المعالم التاريخية ، الأثرية.

Abstract:

There is no doubt that Iraq is one of the most important tourist countries in the Middle East region due to the many diverse tourist sites that extend throughout its geographical area from its northernmost point to its southernmost point, and include archaeological-historical sites, religious shrines, , churches, and the shrine of Abraham.

Tourism in Iraq has taken a new form and a path different from what it was before 2003, as many factors contributed and affected it negatively and positively, especially religious tourism, which took a single pattern and changed it over twenty years, and the concerned authorities did not work on its two parts (the Authority and its subsidiary institutions or the religious endowments) to develop and advance it by the requirements of the times and in keeping with modern religious tourism programs in countries such as Iran, Turkey, and Saudi Arabia, and in a way that contributes to the economic development of Iraq, which is primarily related to the government program and its political authority, which directed all its attention towards providing security and logistical support for the religious events that witnessed Unprecedented numbers of tourists from different countries.

Keywords: religious tourism, holy shrines, archaeological-historical sites.

أهمية البحث: وتأتي أهمية البحث من أهمية السياحة الدينية كرافد اقتصادي مهم للدخل القومي للبلاد من جهة ومن جهة أخرى فأن السياحة الدينية تعكس صورة عن حضارة البلد وتاريخه وتراثه وثقافته بين الشعوب.

إشكالية البحث: وتكمن في تسليط الضوء على مواطن إهمال السلطات المعنية بالقطاع السياحي سواء كانت الحكومة أو الأوقاف أو هيئات السياحة، والإفتقار الى الخطط التنموية الستراتيجية التي من شأنها الإرتقاء بالسياحة الدينية الى مستوى الطموح.

هيكلية البحث: تم الإعتماد في ترسيم هيكلية البحث على أن تشمل السياحة الدينية الأساسية في البلاد والتي تكون محط استقطاب لأعداد كبيرة من السواح، وعليه فأن الدراسة اشتملت على

مبحثين أساسيين، الأول عن جغرافية المكان للسياحة الدينية وتضمن مطلبين مهمين، أولهما عن الأضرحة المقدسة والمزارات الإسلامية وثانيهما تناول السياحة الدينية المسيحية بما فيها من أديرة وكنائس.. أما المبحث الثاني فكان عن أهم العوامل المؤثرة في السياحة الدينية واشتمل على مطلبين كذلك: الأول عن أهمية الأستقرار الأمني والسياسي والثاني عن الدور الفاعل للإعلام في الترويج للسياحة الدينية، ثم تلته توصيات وخاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع.

فرضية البحث: وقد استقرت واقع الحال للسياحة الدينية ومافيها من سلبيات والعمل على معالجتها وتلافيها ووضع الخطط التنموية الإقتصادية الآجلة والعاجلة وبما يرفد الإقتصاد العراقي بالعملة الصعبة لأن السياسة الراهنة المعتمدة من قبل الجهات المعنية، إنما تعتمد على اتباع الخطط الأمنية واستنفار واستنزاف كوادرها وطاقاتها والتي سرعان ماينتهي مفعولها مع انتهاء كل حدث ومناسبة دينية مهمة.

المقدمــة:

بعد العام 2003 أضحى للسياحة الدينية في العراق عبق خاص تمثل في إحياء الطقوس الدينية المرتبطة ارتباطا وثيقا بحضارة البلد وثقافته وتاريخه. ولتلك الطقوس والشعائر أهمية كبيرة عند العراقيين مقترنة بأهمية الحدث التاريخي للمناسبة الدينية زمانا ومكانا، وقد شكلت بالوقت نفسه عنصرا فاعلا من عناصر الجذب السياحي في الداخل والخارج على حد سواء.

كما ويشهد التاريخ على أن العراق كان مهدا لحضارات إنسانية عريقة شُيدت على ضفاف رافديه دجلة والفرات من شماله حتى جنوبه قبل الميلاد وبعده، كما كانت أرضه مهدا لأنبياء الله بدءا من آدم ونوح وصالح وإبراهيم (ع)، وقد شهدت أرضه في صدر الإسلام الكثير من المعارك الخالدة والفتوحات الإسلامية التي أنطلقت منه نحو الهند والسند حتى وصلت للصين. وكان للحضارة العباسية الأثرالأكبرفيما تركت من إرث عمراني بطراز إسلامي رائع ظل شاخصا حتى يومنا هذا لاسيما وأنها امتدت لأكثرمن خمسة قرون.

ومما لاجدال فيه أن في العراق عدد كبير جدا من المواقع الحضارية التي تحمل أبعادا تاريخية ودينية موغلة في القدم ولعل هناك مواقع لم يتم إكتشافها بعد، كلها تشكل مواقع سياحية مهمة تجعل من العراق في مراكز متقدمة عالميا في مجال السياحة لو كان هناك اهتمام كبير من قبل الدولة والهيئات المرتبطة بها، ولكننا مازلنا نتعثر في هذا المجال بسبب ظروف كثيرة أحاطت بالبلد وأعاقت التوجه نحو السياحة بشكل عام والسياحة الدينية بشكل خاص.

إن من بين أهم الأهداف المهمة للسياحة هو التعريف بهوية البلد وتاريخه وحضارته وثقافته وطبيعة مجتمعه وهو مايشكل هدفا مشتركا مع السائح الذي يريد أن يتعرف على حضارات وثقافات الشعوب الأخرى. وفي هذا المقام لانبالغ إذا قلنا بأن كل ارض العراق هي عنصر جذب سياحي حتى صحراءه الممتدة من الأنبار حتى السماوة تشكل جذب سياحي لهواة صيد الطيور البرية النادرة.

المبحث الأول: جغرافية المكان للسياحة الدينية في العراق

يتمتع العراق بسياحة دينية واسعة تكاد تغطي معظم مساحته الجغرافية من شماله حتى جنوبه نظرا لما فيه من معالم دينية كثيرة إسلامية ومسيحية وما يحيط بقربها مكانيا من آثار تاريخية تشكل عامل جذب إضافي للسواح ، وهي ميزة ينفرد بها العراق عن الدول المحيطة به إقليميا ، يضاف لها ميزة أخرى ان الأماكن الدينية في العراق لها أهمية ودلالات عميقة تعكس طبيعة المجتمع العراقي وعشقه للروحانيات وحب آل البيت الأطهار. وعليه كان للسياحة الدينية بشكل عام والإسلامية منها بشكل خاص أهمية كبيرة من قبل الدولة تجلت بعد العام 2003 .

وما نقصده بالسياحة الدينية إنما يرتبط بشكل مباشر بالأضرحة المقدسة لعدد من الأئمة عليهم السلام ومايرتبط بمراقدهم الشريفة من مواقع أثرية دينية لها دلالات رمزية ذات أبعاد تاريخية أرتبطت بسيرهم الجهادية في سبيل الإسلام. كما يتعلق الأمر أيضا بالأماكن المسيحية المقدسة والتي تتمركز جغرافيا في محافظتي الموصل وبغداد ، فضلا عن مقام نبي الله إبراهيم الخليل في مدينة أور بمحافظة الناصرية والذي توجهت له الأنظار بعد زيارة قداسة البابا له والتبرك به. وهو مايعد مؤشرا مهما جدا لجذب السياح من العالم الغربي المسيحي .

وتتضمن السياحة الدينية فعاليات تتصل بالمناسبات الدينية ومايقام فيها من طقوس وعبادات سنوية تجعلها محط أنظار شعوب العالم.

المطلب الأول: الأضرحة المقدسة والمزارات والمساجد الإسلامية

لايختلف اثنان على أن الطقوس والشعائر الدينية السنوية التي تقام في محافظات النجف الأشرف وكربلاء وبغداد وسامراء ، قد اتخذت مسارا جديدا بعد 2003، وصارت تشكل مركز الثقل للسياحة الدينية في العراق وأصبحت قبلة للزائرين من كل بقاع الأرض، مما توجب على الدولة وكافة أجهزتها المعنية أن تولي كل المناسبات الدينية أهمية كبيرة وخاصة تلك المتعلقة بالعاشر من شهر محرم الحرام وأربعينية سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام والزيارة السنوية للإمام موسى الكاظم (ع)، حيث يُقدم كل أنواع الدعم الأمني واللوجستي لتأمينها ونجاحها. وعليه

فإننا سنتناول في هذا المطلب الأماكن المقدسة بالتتابع وفق أهمية سياقها التاريخي من جهة وأهميتها للسياحة الدينية من جهة أخرى.

أولا: النجف الأشرف:

وتقع هذه المدينة في الجنوب الغربي من العاصمة بغداد. وهي على بعد 8 كم من مدينة الكوفة التاريخية و60 كم من مركز مدينة الحلة[1]. وقد اكتسبت المدينة قدسيتها من مرقد الإمام علي عليه السلام[2] بقبته الذهبية ومنارتيه الذهبيتين. ومايحتوي عليه من نفائس لاتقدر بثمن من هدايا الملوك والسلاطين. فضلا عن كونها مدينة علمية فيها مدارس دينية عديدة يُدرس فيها النحو والفقه والتاريخ والأدب. كما تُعد مركزا للمرجعية الدينية للمذهب الإسلامي الجعفري. وقبل أرتباطها المكاني بضريح الإمام عليّ (ع) كانت المدينة مهبطا لكثير من الأنبياء آدم وابراهيم وصالح (عليهم السلام) وعلى أرضها أستوت سفينة نوح (ع).[3] ومما يجدر ذكره هنا أن محافظة النجف تضم بين ثناياها الكثير من الأماكن الدينية – التاريخية المهمة التي تستقطب الزوار والسياح لزيارتها والتبرك بها ويأتي في مقدمتها:

1) قسم الترويج في المؤسسة العامة للسياحة والسفر، العراق دليل سياحي، (يوغسلافيا: مطبعة بوبلك– بلغراد، 1982)، ص111.

2) علي بن أبي طالب رابع الخلفاء الراشدين وابن عم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم عاش في كنفه صبيا، آمن برسالته وهو في العاشرة، نام في فراش النبي عند هجرته، شهد جميع الغزوات، إلا غزوة تبوك لأن النبي عليه أفضل الصلاة والسلام استخلفه في أهل بيته. عُرف بشجاعته، فكان من أول المبارزين في بدر، وممن ثبتوا يوم أُحد وحُنين، على يديه فُتحت خيبر. تزوج فاطمة بنت رسول الله، أنجب منها الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم. أستشهد في محراب صلاته في مسجد الكوفة حيث طعنه ابن ملجم وهو يهم بصلاة الفجر سنة40 هـ/ 661م. لمزيد من السيرة العطرة للإمام علي والمعارك التي خاضها وانتصر فيها وكل الظروف التي رافقت خلافته الممتدة لأربع سنوات و تسعة أشهر راجع كتاب: ابن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة، الجزء الأول، (مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1963)، ص159– 161. وأيضا: الموسوعة العربية الميسرة، المجلد الثاني، (لبنان: دار نهضة لبنان للطباعة والنشر، 1987)، ص 1230.

3) لمزيد من التفاصيل عن تاريخ مدينة النجف راجع: جعفر الشيخ باقر آل محبوبة، ماضي النجف وحاضرها، الجزء الثاني، (العراق: مطبعة النعمان– النجف الأشرف، الطبعة الثانية، 1957) ، ص 16 وما بعدها.

1) الكوفة[1]: وتكمن أهميتها الدينية والتاريخية من حيث كونها مقر الخلافة للإمام علي وفيها قصر الإمارة وبيت الإمام والمسجد الشهير الذي استشهد فيه والمسمى بمسجد الكوفة[2] وفيه ضريحي مسلم بن عقيل وهاني بن عروة (رض).[3] وبالقرب منه مواقع دينية عديدة لايسع البحث ذكرها وسرد أهميتها وأبرزها: مرقد الصحابي الجليل ميثم التمار ومرقد المختار الثقفي، وعلى بعد 2كم يقع مسجد مبارك هو مسجد السهلة.

2) مقبرة وادي السلام الكبرى القديمة والجديدة وفيها مرقدي النبي هود والنبي صالح (عليهم السلام)[4] اضافة الى مراقد المراجع الدينية وخاصة مرقدي الشهيدين الصدرين الأول والثاني.

ثانيا: كربلاء المقدسة:

جغرافياً تقع المدينة جنوب غرب العراق على الضفة اليسرى من نهر الفرات على بعد 102 كم عن بغداد و 78 كم عن النجف و45 كم عن الحلة وتحيط بها البساتين الغناء[5]. ولكربلاء أهمية دينية خاصة حيث وقعت فيها معركة الطف التاريخية[6] ومارافقها من أحداث مؤلمة غيرت مجرى التاريخ الإسلامي، وفيها أستشهد الإمام الحسين وأخيه العباس عليهما السلام سنة

---

1) تقع على الجانب الأيمن لنهر الكوفة المتفرع من نهر الفرات، أسسها سعد بن أبي وقاص سنة 17هـ / 638م في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رض)، ويُنسب إليها الخط الكوفي. وقد نافست البصرة في مدارسها الفقهية واللغوية في أيام الأمويين والعباسيين. وهي مركز للقضاء المسمى باسمها. راجع: الموسوعة الميسرة، مصدر سابق، ص5050.

5) يُعد مسجد الكوفة أحد المساجد الأربعة في الإسلام التي لها قدسية ومكانة روحية كبيرة وإليه أشار الإمام علي عليه السلام بقوله: (انه أحد المساجد الأربعة التي تُعظم ولأن أصلي فيه ركعتين أحب إلي من أن أصلي عشرة في غيره إلا المسجد الحرام ومسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم). ويقع في مركز المدينة وأحد ابرز معالمها الدينية والتاريخية. د. حسن عيسى الحكيم، الكوفة بين العمق التاريخي والتطور العلمي، (لبنان: العارف للمطبوعات، الطبعة الأولى، 2009)، ص29.

6) د. حسن عيسى الحكيم، الكوفة بين العمق التاريخي والتطور العلمي، مرجع سابق، 2009، ص112 ومابعدها.

4) د. هاشم حسين ناصر المحنك، السياحة الدينية وواقع الخدمات الفندقية، (العراق: دار أنباء للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 2013)، ص18.

8) أنظر: قسم الترويج في المؤسسة العامة للسياحة والسفر، العراق دليل سياحي، مصدر سابق، ص104.

6) لمزيد من التفاصيل عن هذه المعركة ومآلتها راجع: محمد بن جرير الطبري، تاريخ الملوك والرسل، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، (مصر: دار المعارف، الجزء الخامس، الطبعة الثانية، بدون تاريخ) ص350-433. وكذلك : ابن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة، مصدر سابق، الجزء الثاني، ص 6-9.

61هـ/680م، وتُعد كربلاء مرتكزا للسياحة الدينية في العراق لأن فيها المرقدين الطاهرين حيث يتوافد ملايين الزوار سنويا لإحياء ذكرى العاشر من محرم بمراسم وطقوس دينية تستمر حتى ذروة الزيارة الأربعينية. ولايقتصر الأمر في كربلاء على وجود المرقدين الطاهرين، وإنما في أطراف المدينة توجد مراقد من شاركوا في المعركة كالحر بن الرياح وعون بن عبدالله.

وفي كربلاء أيضا إضافة الى الأماكن الدينية المقدسة هناك أماكن سياحية تاريخية وأثرية تشكل عامل جذب سياحي فعلى بعد 50 كم من كربلاء وفي منطقة بعيدة عن العمران في البادية الغربية يقع حصن الأخيضر الشهير الذي يرجح المؤرخون تاريخ بنائه الى القرن الثامن للميلاد في عهد الخليفة العباسي الثاني أبو جعفر المنصور. وهو من الصروح الضخمة التي شيدتها سواعد العرب بالحجر وفق نسق يدل على المهارة في استعمال الأقبية الى جانب الزخارف. وفي الطريق من الأخيضر وعلى بعد 18كم من كربلاء تقع بحيرة الرزازة التي تمتد بين محافظتي كربلاء والأنبار ويبلغ طولها 60 كم وعرضها 30 كم وهي من البحيرات السياحية التي يقصدها آلاف السواح وهواة صيد الأسماك.[1]

ثالثا: بغداد: الروضة الكاظمية:

وهي من المراقد المشهورة في بغداد وتضم مرقدي الإمامين موسى الكاظم[2] (ع) الذي دفن عام 802 م ومحمد الجواد (ع)، وبني حول المرقدين مسجد واسع الأطراف تعلوه الآن قبتان وأربع منائر مطلية بالذهب وقد أنشيء هذا المسجد عام 1515م[3]. وليس ببعيد عن الروضة الكاظمية هناك عدد من المزارات الدينية المهمة والتي تشكل علامات دالة وفارقة في تاريخ العاصمة بغداد ومنها[4]:

10) أنظر: قسم الترويج في المؤسسة العامة للسياحة والسفر، العراق دليل سياحي، مصدر سابق، ص108-110.

11) الكاظم، موسى بن جعفر الصادق: (745-799) سابع الأئمة الأثني عشر عند الإمامية، وأحد كبار العلماء ولد في المدينة، استقدمه المهدي العباسي الى بغداد، ثم رده الى المدينة. وبلغ هارون الرشيد أن الناس يبايعون الكاظم في المدينة، فأخذه معه في أثناء عودته من الحج عام 795 م ، وحبسه بالبصرة، ثم نقله الى بغداد، وتوفي بها. انظر: الموسوعة العربية الميسرة، مصدر سابق، الجزء الثاني، ص1428.

3) دليل سياحي، مصدر سابق، ص 56- 58.

13) دليل سياحي، مصدر سابق، ص50- 52.

1) جامع الإمام الأعظم في منطقة الأعظمية عند ضريح الإمام أبي حنيفة {النعمان بن ثابت الكوفي صاحب المذهب الحنفي} الذي دفن في مقابر الخيزران عام (105هـ). وتقام فيه المناسبات الدينية وخاصة الإحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف وإقامة الذكر وسط حشود الآلاف من الزوار والوافدين للمكان.

2) جامع الشيخ عبدالقادر الكيلاني ويضم مرقده ويقع في المنطقة المعروفة اليوم باسم باب الشيخ. وهذا المرقد في الأصل كان مدرسة بناها الحنبلي أبو سعيد المبارك بن علي المحزمي ثم جددها ووسعها من بعده تلميذه الشيخ عبدالقادر الكيلاني الذي أقام فيها حلقات الدرس واعتكف فيها حتى سنة (561هـ / 1165م)، ودفن فيها ثم شيد السلطان العثماني سليمان القانوني قبة شاهقة واسعة فوق قبره والحق به مرافق عديدة.

3) جامع ومرقد الشيخ الزاهد شهاب الدين عمر السهروردي وهوعالم صوفي مشهور، يقع في منطقة الشيخ عمر، وهو من أقدم جوامع مدينة بغداد.

4) مرقد الصحابي الجليل سلمان الفارسي ويقع في المدائن (سلمان باك) وهي من المدن التاريخية المهمة وتقع الى الجنوب من مركز بغداد بمسافة 30 كم. ويرجع تاريخ تشييدها الى حدود القرن الثاني قبل الميلاد ومن أبرز معالمها الشاخصة طاقها الشاهق وهو جزء من قصر كبيرعلى مقربة من نهر دجلة ويرجع عهده الى منتصف القرن الثالث للميلاد، ويعتبر هذا الطاق من أكبر الطوق المشيدة بالآجر في العالم وأعلاها. ويعد مكان ديني وسياحي. الى يومنا هذا.

رابعا: سامراء (الروضة العسكرية):

تقع سامراء على الضفة اليسرى من دجلة وتبعد عن بغداد حوالي 100كم، فيها أطلال مدينة سامراء العباسية التي أُنشئت في زمن الخليفة المعتصم وبلغت أقصى اتساعها في عهد الخليفة المتوكل. وكانت مقرا للخلافة العباسية ومن أهم آثارها قصر العاشق وبقايا دار الخليفة، والمنارة الملوية[1]. وهي بهذا تشكل مركزا سياحيا مهما ولكن أهميتها السياحية الأكبر تكمن في جانبها الديني لأن فيها ضريحي الإمام علي الهادي وولده الحسن العسكري (عليهما السلام) وهو مايشكل نقطة استقطاب وجذب للزوار والسياح في آن معا وخصوصا في المناسبات الدينية حيث يتوافد عليها أعداد كبيرة جدا ومن مختلف البلدان.

1) الموسوعة العربية، مصدر سابق، ص948.

خامسا: المراقد والمزارات الأخرى:

مزاري الإمام القاسم وعلي بن الحسين (السجاد) ومقام الحمزة وشريفة بنت الحسن[1] وضريح تاج الدين في ناحية الحفرية بمحافظة واسط ومزارعلي الثرى في بدرة على الحدود مع ايران ومقام زين العابدين في كركوك. ومقام سيد حمدالله في الباب الشرقي.

وفقا لما تقدم أعلاه يتضح جليا مشهد السياحة الدينية من كم المزارات والأضرحة المقدسة وكم الأعداد الهائلة التي تأتي لزيارتها والتبرك بها. ومن هنا يتوجب توجيه الإهتمام نحو قطاع السياحة الدينية وأستثماره بكل الممكنات المتاحة فهو دون شك مصدر مهم من مصادر الدخل القومي للبلاد وهو الرافد الإقتصادي الذي لاينضب.

وفيما يتعلق بهذا الأمرعلى وجه الخصوص نلفت الإنتباه الى أن هناك بعض السلبيات التي نتجت عن عدم الإهتمام بالسياحة الدينية، منها استغلال بعض رجال الأعمال الحس العاطفي لدى الناس تجاه آل البيت الأطهار وأستثمارهم في هذا الإتجاه من أجل تحقيق الأرباح على حساب مشاعر الناس وصدق وسمعة المعتقدات التي يؤمنون بها وسمعة البلد كذلك، حيث قام البعض باستغلال غياب أجهزة الدولة الرقابية في هذا المجال وقام بإنشاء مزارات وهمية ومراقد مزيفة لاتمت للحقيقة التاريخية بصلة مما أوقع أثرا سلبيا في نفوس الناس ونذكر منها على سبيل المثال مايسمى بإمام الهوى في كركوك وقطارة الإمام علي التي كان انهيارها كارثة وفضيحة بالوقت ذاته.

المطلب الثاني: الكنائس والأديرة ومقام ابراهيم الخليل (ع)

تُعد منطقة الشرق الأوسط وخصوصا فلسطين وبلاد الشام والعراق من أهم المناطق بالنسبة للسياحة الدينية المسيحية لأسباب عديدة أولها أنها مهد المسيحية التي ولد فيها المسيح (ع) ومنها نشر دعوته للمحبة والسلام. وكلنا يشهد في نهاية ومطلع كل عام الحج السنوي لكنيسة المهد في بيت لحم بفلسطين المحتلة وبأعداد كبيرة من مسيحي العالم الغربي، بل ومن مختلف دول العالم.

ولأن الديانة المسيحية كطقوس وعبادات في الشرق الأوسط ظلت محافظة على طابعها الخاص ولم تتأثر برياح العولمة والتغير التي طرأت على العالم، ولهذا شكلت مصدر سياحي ديني وتراثي مهم للبلدان التي فيها الكنائس والأديرة التاريخية العتيقة ككنيسة (صيد نايا) في سوريا على سبيل المثال. أما في العراق فلم يكن هناك اهتمام بما يكفي لأستقطاب السياح من العالم الغربي

1) من المفيد أن ننوه الى أن العلوية (شريفة بنت الحسن) هي ليست بنت الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب (ع) وإنما بنت أحد أشراف السادة العلويين.

لا بعد 2003 ولا حتى قبلها. وقد تكون زيارة قداسة البابا لمقام ابراهيم الخليل (ع) دقت ناقوس الإنتباه نحو هذا القطاع وضرورة العمل عليه وتطويره.

ان العراق يزخر بالكثير من المواقع الأثرية لكثير من الكنائس والأديرة التي يعود تاريخها الى مئات السنين ولعلها توازي من حيث الأهمية المزارات الإسلامية بالنسبة للسياحة الدينية لو تم التخطيط لها من قبل الجهات المعنية بشكل ناجح. "ويُعد سهل نينوى مركز الحياة المسيحية حيث تتواجد أغلب الطوائف المسيحية وفي مقدمتها الطائفة الكلدانية التي تشكل نسبة 80% وأغلبهم كاثوليك ويليها الطائفة السريانية بنسبة 10% منهم كاثوليك ومنهم أرثوذوكس. وفي سهل نينوى توجد أهم الأديرة والكنائس التاريخية، نذكر منها":[1]

أولا: الأديرة:

1) دير مار متى وهو دير أثري يقع على سفح جبل في قضاء بعشيقة شمال شرق مدينة الموصل بمسافة 30كم. وهو من أقدم وأجمل الأديرة، أسسه الناسك مار متى في القرن الرابع الميلادي بمساعدة سنحاريب الملك، ويضم كنيسة، وصهاريج، وصوامع لسكن الرهبان، وأحيط بسور كبير مازال شاخصا الى يومنا هذا، وهو يتبع لمطرانية السريان الآرثوذوكس، ويعد من المعالم السياحية المعروفة في العراق.
2) دير الربان هرمزد ويقع على جبل القوش بشمال الموصل، أنشأه الربان هرمزد في القرن السابع الميلادي. وهو من أديرة الكلدان.
3) دير مار بهنام الذي بُني على ضريح القديس بهنام ورفاقه الذين دفنوا في مقبرة جماعية قرب تل الخضر القريب من قضاء قره قوش في سهل نينوى في القرن الثاني عشر الميلادي، ويقع على بعد 35 كم جنوب شرق الموصل، ويعود الدير الى السريان الكاثوليك، ويقطنه الرهبان ويقصده الناس للتعبد والعلاج من الصرع. وتعد كنيسته من التحف الأثرية وهي مشيدة بالرخام وعلى جدرانها زخارف ونقوش وكتابات بالسريانية تعود للعام 1164م.

ثانيا: الكنائس[2]:

1) كنيسة الأرمن الأرثوذوكس: تقع في منطقة الباب الشرقي وتعرف بأسم كنيسة مريم العذراء وهي من أقدم الكنائس القائمة في مدينة بغداد وقد كانت هذه الكنيسة تابعة للنساطرة الكلدان

1) شروق ماهر، نينوى.. أرض الكنائس والأديرة، https://khoranat-alqosh.com/?p=15281

2) الدليل السياحي، مصدر سابق، ص146 وايضا: شروق ماهر، نينوى أرض الكنائس والأديرة، مصدر سابق، موقع الكتروني.

حيث تحولت عام 1744م الى الأرمن الأرثوذوكس. وتقام فيها المراسم الخاصة بعيد انتقال العذراء الى السماء.

2) كنيسة شمعون وهي أقدم كنائس الكلدان بالموصل ويعتقد بأنها من مباني القرن الثالث عشر.

3) كنيسة مار توما وهي من الكنائس التاريخية وتعود ايضا للقرن الثالث عشر في طراز بنائها.

4) كنيسة اللاتين التي بناها الرهبان الدومنيكان في القرن التاسع عشر في نينوى.

ومما هو جدير بالذكر أن مدينة الموصل ماتزال مدينة سياحية بامتياز رغم الهجمة الداعشية الشرسة التي تعرضت لها بعد 2014 حيث تعرضت بعض مواقعها الأثرية الدينية الى دمار تام ونخص بالذكر هنا الجامع الكبير المسمى بالجامع النوري الذي أنشأه القائد نورالدين زنكي سنة 1172م وأبرز ماكان يميزه منارته الإسطوانية العالية ، وكذلك جامع النبي يونس (ع) والذي يضم مرقده الشريف وفق ماتذكره المصادر التاريخية. وقد شاهدنا تدميرهما عبر شاشات التلفزة المرئية.

ثالثا: مقام ابراهيم الخليل (ع):

اتفقت أغلب المصادر التاريخية القديمة منها والحديثة على تسمية ابراهيم الخليل (ع) بـ (أبو الأنبياء) وأنه الجد الأعلى لكل من العرب واليهود. ولكنها اختلفت حول مكان ولادته وأسمه ومقامه، والمرجح لدينا أن معظم مامرّ معه من أحداث تدل على أنها حصلت في أرض العراق مابين بابل والنجف وأور. حيث ولد وأُحرق وصلى، وأن الزمن الذي حطم فيه إبراهيم (ع) الأصنام، إنما كان في زمن الطاغية نمرود بن كورش وذلك قبل الميلاد بحوالي ألفي سنة. ومازالت الشواهد التاريخية الموجودة اليوم تشير الى ذلك وتؤكد عليه. فألى الجنوب من مدينة الحلة توجد المغارة التي ولد فيها والمسماة بـ (مغارة النور) وبقربها برج بُرس نمرود حيث موضع المحرقة وحيث مقامه الذي يتوسط الطريق بين محافظتي بابل والنجف.

وتشير المصادر التاريخية الى أنه تنقل مع أبيه وأهل بيته لأكثر من مكان من أور[1] الى حران حتى وصل الى أرض كنعان (فلسطين)[2]. وقدر تعلق الأمر بدراستنا هذه فنحن لانريد سبر أغوار التاريخ بقصة النبي إبراهيم ، ولكن قدر تعلق الأمر بأهمية المقام الدينية والسياحية والتي لم تكن محط أنظار الجهات المعنية إلا بعد زيارة بابا الفاتيكان لمقام ابراهيم في مدينة أور التاريخية

1) مدينة سومرية قديمة في جنوب بلاد مابين النهرين تقع على نهر الفرات. كانت مركزا هاما للثقافة السومرية، عُرفت في الكتاب المقدس بأنها موطن ابراهيم الخليل عليه السلام. راجع: الموسوعة العربية الميسرة، مصدر سابق، ص257.

18) ابن كثير، قصص الأنبياء (العراق: مكتبة النهضة، الطبعة الثانية، 1986)، ص 128- 151.

حيث مكان ولادته ومقام صلاته وفقا لما ورد في التوراة والإنجيل. وقد كان لهذه الزيارة وقع وأثر كبير على العالم لأنها الزيارة الأولى للعراق أولا ولمقام ابراهيم الخليل ثانيا.

إن مقام ابراهيم (ع) قبل زيارة البابا لم يكن له شأن يُذكر ولم ينل من الإهتمام مايجب لا من قبل الحكومات المتعاقبة ولا المسؤولين على شؤون الأوقاف الدينية على حد سواء رغم دخوله في لائحة التراث العالمي منذ عام 2016 ، وكأن زيارة البابا أيقظتهم من رقدتهم فصاروا يهرولون قبيل موعد الزيارة للإهتمام بالمكان وتبليط الشوارع المؤدية إليه والى كل مامن شأنه أن يرتقي بمستوى الزيارة. وهنا نؤكد على الجهات المعنية بالسياحة الدينية أن تمعن النظر في الكلمة التي ألقاها البابا في زيارته لمقام إبراهيم[1] وأهمية ماورد فيها، والتي يمكن اعتبارها نقطة انطلاق للتخطيط لمشروع سياحي ديني متكامل وقائم على التأسيس لبنى تحتية من فنادق ومطاعم ومراكز تجارية وشوارع وشركات متخصصة في تفويج الحجاج المسيحيين، لأن مقام إبراهيم وبناءا على ماورد في كلمة البابا انما هو المكان الذي يحجون إليه.

المبحث الثاني: أهم العوامل المؤثرة في السياحة الدينية

بدلا من أن تكون السياحة الدينية رافدا اقتصاديا مهما للدخل القومي العراقي إلا أنها صارت تشكل عبئا ثقيلا على كاهل الدولة ومؤسساتها الأمنية وتستنزف طاقتها الإقتصادية بسبب غياب الخطط الحكومية وسياساتها الفاشلة في التعاطي مع السياحة السياحة الدينية ودائما ماتعتمد على خطة (الفزعة) واستنفار همم رجال الأمن بكل صنوفهم لتأمين المناسبات الدينية الكبرى.

والحقيقة ان السياحة الدينية تتحكم بها عوامل عديدة إن توفرت أدت الى نجاحها وازدهارها أو العكس، ولذا فأن على الدولة وحكومتها أن تعمل كل ما من شأنه الإرتقاء بهذه السياحة وتنميتها من خلال وضع البرامج والخطط الآجلة والعاجلة والإستعانة بالخبراء والمتخصصين في هذا

19) قال البابا في كلمته: "تستذكر قصة النبي إبراهيم –عليه السلام– ومبعثه النبويّ من أور، والسماء تمنحنا الوحدة وهذا يعزز أخوتنا وأضاف: "يجب ألا ننسى أخوتنا فنحن أحفاد النبي إبراهيم، ولا يجب أن يعمل كل منابمعزل عن الآخر فنحن من يجب أن يعمر الأرض، وأخوتنا تدفعنا للعيش بإنسانية، ويجب ألا ننسى نوايا الإنسان الحسنة وتابع البابا: "من هذا المكان بدأ الإيمان والتوحيد من أرض أبينا إبراهيم." وأضاف: "أرى طريق الحج من هذا المكان الذي يذكرنا بأبينا إبراهيم... مجيئنا لهذه الأماكن المقدسة هو لإحيائها، والنبي إبراهيم بدأ رحلته من أور وعانى معاناني". ميادة داوّد، العراق وحلم إنتعاش السياحة، الموقع الألكتروني https://www.irfaasawtak.com/iraq/2023/07/19

المجال. ومن بين أهم العوامل التي تسهم في نهضة السياحة والتي على الدولة أن تضعها نصب عينيها هي:

المطلب الأول: عامل الإستقرار السياسي والأمني

من المؤكد أن الإستقرار السياسي والأمني يشكل عاملا أساسيا لكل مناحي الحياة التنموية وبدونه تُصاب مفاصل الدولة بالشلل التام. فما بالك بقطاع السياحة حيث يشكل الأستقرار هاجس وأولوية قصوى لكل العاملين فيه. وقد مر العراق بفوضى وانفلات أمني زادت وتيرته أحيانا وخفتت في أحيان أخرى. وفي الحالتين ترك تأثيرا كبيرا جدا على قطاع السياحة في عموم البلاد.

ومما زاد الطين بلة أن الإهمال الحكومي ساهم في تدهور السياحة وخلق بيئة مؤاتية لضعفاء النفوس بسرقة بعض النفائس من آثارنا وبيعها لتجار التهريب وبثمن بخس. يُضاف الى ذلك ماقام به داعش الإرهابي في عام 2014 من هجمة شرسة ضد كل مايمت للحياة الإنسانية بصلة، وحطم بمعوله الحاقد الآثار التاريخية الموغلة في القدم في مدينة الحضر في الموصل، ولم يكتف بذلك بل راح فكره المريض المتدثر بغطاء الدين التجاسرعلى مراقد أنبياء الله سبحانه وتعالى وهدم المساجد التاريخية التي يذكر فيها إسمه كمسجد النوري الذي يعود بناءه الى زمن القائد نورالدين زنكي في القرن الثاني عشر الميلادي. ناهيك عما قام به أزاذله من محو تام لكثير من الأديرة والكنائس العتيقة في سهل نينوى والتي تشكل علامات دالة على عبق المدينة التاريخي.

لقد كانت محافظة نينوى عبر تاريخها من أهم المراكز السياحية في العراق لما فيها من آثار ومعابد ومراقد ومساجد، ولكنها لم تنل مايكفي من الإهتمام لا من الحكومة ولا من هيئاتها المختصة سواء هيئة الآثار أو هيئة السياحة أو هيئات الأوقاف الدينية المسيحية والإسلامية على حد سواء.

إن فقدان الأمن والإهمال الحكومي وعسكرة المدينة وشوارعها قبل داعش وبعده أوصل صورة سلبية للعالم الخارجي مما أدى لامتناع السياح العرب والأجانب من القدوم لهذه المحافظة كما يُعد في الوقت نفسه مؤشرا على تراجع السياحة بل انعدامها في محافظة الموصل وهو مايستوجب أن تتظافر كل الجهود لإحيائها من جديد عمرانيا وتنمويا وسياحيا.

ولم تكن منابع النفط وآباره هدفا مهما وستراتيجيا للولايات المتحدة عند غزوها واحتلالها للعراق وإنما كان لديها أهداف ستراتيجية أهم وأقوى من النفط منها تدمير البنية التحتية وأن لاتقوم للعراق قائمة وعملت ومانزال تعمل على أن لا يستقر العراق أمنيا ويظل في حالة صراع واقتتال من خلال سياستها القديمة في الشرق الأوسط القائمة على شعار (فرق تسد) ، فهي لاتريد له أن ينهض من جديد ولطالما أشعلت الفتن بين طوائف شعبه خدمة لمصالحها ومصالح الكيان

الصهيوني بالدرجة الأولى. ولهذا نجد أن الإستقرار السياسي في العراق دائما مايكون على صفيح ساخن، ويلازمه الإستقرار الأمني، فالأول مقدمة والثاني نتيجة هذا مايفرضه المنطق العقلي.

ولأن أمريكا تتحكم بخيوط السياسة والأمن في العراق، فمن الطبيعي أن تكون السياحة في مأزق لأنها ترتبط وبشكل وثيق بكليهما فأن كان هناك استقرار سياسي وأمني فمن المؤكد أن هناك إنتعاش تنموي – إقتصادي – سياحي.

وبالإضافة الى العامل الأمني فإن هناك أسباب أخرى لاتعيق السياحة وإنما تجعلها في حالة من الشلل التام منها الإجراءات الأمنية المشددة وشروط منح التأشيرة للسائح الأجنبي[1]. وإن كان أمرا ضروريا في ظل الظروف الأمنية المعقدة التي يمر بها العراق.

ونتفق مع ماذهب إليه السيد أحمد العلياوي المتحدث بأسم هيئة السياحة "من أن هناك معوقات كثيرة تتأثر بالوضع الأمني وطبيعة الإعلام والدعاية، وتصوير البلد على أنه غير مستقر أمنياً أدى إلى عزوف الكثير من السائحين، كما أن وزارة الثقافة وهيئة السياحة لا تمتلكان صلاحية تخوّلها تسهيل إجراءات قدوم المسافرين من الخارج الى العراق لغرض السياحة، وتشرف على هذا الموضوع أجهزة أمنية معنية"[2] .

وهو مايستلزم تظافر كل الجهود لمحاربة الإرهاب والقضاء عليه لأن تداعياته كانت خطيرة وجسيمة على كل مناحي الحياة بشكل عام والسياحة الدينية بشكل خاص، حيث كانت منافذ حدودنا الشرقية دون رقابة أمنية وأبوابها مفتوحة على مصراعيها مما سهل تدفق ملايين الزائرين ولاسيما في مناسبة أربعينية سيد الشهداء (ع). ومثل هكذا ظروف فأنها لاتشكل خسارة مادية فحسب وإنما تشكل خطرا أمنيا مضافا، فاحتمالات كثيرة واردة يجب أخذها بنظر الإعتبار (سياسيا وأمنيا) كدخول الإرهابيين والمتسولين الأفغان فضلا عن تهريب المخدرات وهو ماتم ضبطه وتأكيده لأكثر من مرة من قبل الجهات المعنية.

إن ضبط المنافذ الحدودية وتنظيم دخول الزائرين والمعاملة بالمثل فيما يتعلق برسوم التأشيرة إنما ينعكس إيجابا على سمعة البلد أولا وعلى اقتصاده ثانيا. ولكن على مايبدو أن الوضع وبعد عقدين من الزمن لم يتغير ومازلت الخطط الأمنية للمناسبات الدينية هي ذاتها ولا تستشرف

1) هذا ماصرح به أكثر من مسؤول في هيئة السياحة العراقية، ونخص بالذكر السيد أحمد العلياوي مسؤول هيئة السياحة في العراق. أنظر : أحمد عبد، عوامل أمنية وسياسية تؤخر الإستثمار بالعراق، الموقع الإلكتروني (العربي الجديد) https://www.alaraby.co.uk/economy

2) أحمد عبد، العربي الجديد، مصدر سابق.

المستقبل، فضلا عن غياب التخطيط المدروس لإستثمار السياحة الدينية اقتصاديا والتي يمكن أن تدرعلى العراق ملايين الدولارات.

وعلى صعيد الاستقرار السياسي فمازال الوضع تتجاذبه كثير من العوامل الداخلية والخارجية ولا يستقر على حال ويشهد صراعات حادة بين الجهات والأحزاب المتنفذة والمتحكمة بالعملية السياسية ومايشوبها من فساد ظاهر في كل مفاصل الدولة وهو ماينعكس على سمعة العراق خارجيا ويؤثر في عدد السواح الأجانب ورغبتهم في القدوم للبلد. "فالزائر أو السائح في الوقت الحاضر، يأتي للأماكن المقدسة، وكله رغبات في أن تُذلل أمامه جميع العقبات والصعاب والمخاطر، فهو يريد أن يشعر بالأمان والراحة في جودة الطرق وتوفر المواصلات، وأماكن له فيها التزود من الراحة، كما هو عليه الفنادق والمطاعم والأسواق ومراكز التبضع... إلخ، فإذا لم يعثر على ضالته التكميلية أو الثانوية هذه، يؤدي مناسكه الدينية التي جاء أساسا من أجلها، ويتوجه للرحيل عن المدينة أو البلاد بأقرب فرصة مواتية."[1]

ولو توفر عامل الاستقرار الأمني والسياسي لكان بأمكان الزوار أن يذهبوا الى اماكن سياحية اخرى قريبة فتتطول مدة بقائهم ويزداد صرفهم مما يشكل وارد مادي للدخل القومي من جهة وتشغيل للايدي العاملة من جهة اخرى وهو هدف تسعى اليه قطاعات السياحة المختلفة في دول العالم وخير مثال على ذلك (كنيسة المهد) في بيت لحم حيث توقف قدوم الحجيج بسبب الحرب على غزة فتوقف كل شيء معها وخاصة الايدي العاملة وترويج الصناعات المحلية (التراثية والحرفية) التي تباع للسواح الاجانب وبالعملة الصعبة.

ومما يؤشر إيجابيا أن الحكومة تعمل مابوسعها لتوفير الأمن التام للمناسبات الدينية حفاظا على أرواح الزائرين ولأستكمال مراسيم المناسبة الدينية على أكمل وجه وبانضباط عالي. ولكن من جهة أخرى نلاحظ أن جهود رجال الأمن سرعان ماتنتهي وينفرط عقدها مع الساعات الأولى لأنتهاء الزيارة ويسود وضع الزائرين الهرج والمرج عند بدء التفويج العكسي وتقل المواصلات، وتختفي الخدمات بل ويستمر انعدامها لما بعد انتهاء الزيارة باسبوعين حيث مخلفات الزائرين من قناني المياه وغيرها من النفايات تملأ الشوارع، ناهيك عن يافطات المواكب الممزقة والمتروكة على الطريق، وهي حالة غير حضارية وتسيء الى سمعة البلد وسياحته الدينية.

1) د. هاشم حسين ناصر المحنك، السياحة الدينية وواقع الخدمات، (مصدر سابق) ، ص11.

وبناءا على ماتقدم فإن توفر الإستقرار الأمني ضروري جدا لجذب الكثير من المستثمرين للعراق واستثمار أموالهم في السياحة وفي مجالات أخرى، وعكس ذلك يدفع بالعراقيين أنفسهم الى استثمار رؤوس أموالهم في أماكن اخرى في مقدمتها الأردن.

المطلب الثاني: أهمية الدور الإعلامي في الترويج للسياحة الدينية

إن الإعلام عموما والإعلام المرئي أولا وبالذات صار صناعة وفن وعليه تعتمد السياحة في ترويج بضاعتها وتسويقها وأن تبعث برسائل ايجابية للزائر او السائح فتشجعه وتحفز الرغبة لديه لزيارة البلد والتعرف على ثقافته وحضارته مما يجعل مدة بقائه أطول وكلما زادت مدة بقائه زاد صرفه للعملة الصعبة.

ولكن الإعلام في العراق ليس بمستوى الطموح ولا يضاهي وسائل الإعلام السياحي في الدول المجاورة كتركيا على سبيل المثال. وهو يعاني من معوقات كثيرة ومازال بدائيا في وسائله الدعائية للسياحة الدينية.

إن استغلال المقومات السياحية المتعددة ونشر الوعي السياحي والقيام بوظيفة التثقيف السياحي، هي من أهم وظائف الإعلام السياحي، ويعد الإعلام في هذا المجال ناجحا إذا نجح في تعظيم الناتج الاقتصادي والاجتماعي من كافة الأنشطة السياحية و ذلك عن طريق العمل على مختلف المحاور وفي إطار التخطيط الشامل والسليم.[1]

وبديهيا ان الإعلام السياحي يرتبط ارتباطا وثيقا بالتنمية الإقتصادية للبلد من تطورعمراني وأستقرار أمني وانتشار الوعي المجتمعي، عندها سيكون الإعلام ناجحا وفاعلا في نقل صورة حيوية مشرقة ومشرفة عن البلد والعكس صحيح. وعليه فإن الإعلام يجب أن يتسم بصفة المصداقية والدقة وأن تكون المعلومات التي يقدمها للزائر حقيقة وواقعية غير مبالغ فيها. وأن يبتعد عن تضليل السائح كي لا يترك عنده انطباعا سيئا يمنعه من تكرار الزيارة مستقبلا[2].

ولقد حصل تطور كبير في وسائل الإعلام السياحي المؤثر في الناس من حيث السرعة والصوت والصورة ، فبعد أن كان يُعتمد على الصحف والمجلات والإذاعة والتلفزيون صار يُعتمد

1) د. سلامن رضوان، الإعلام السياحي تحديات ورهانات، (الجزائر: المؤسسة الوطنية العليا للصحافة، مجلة البدر، المجلد 10، العدد 6، 2018) ، ص 690.

2) تقوم بعض شركات السياحة والسفر بأعطاء صورة ترويجية تسويقية مغايرة للواقع تماما ، كأن تدعي بأن الفندق خمس نجوم وأن خدماته من الدرجة الأولى وكثير من المغريات. وما أن يصل السائح حتى يتفاجأ بصورة مناقضة تماما. وهو الأمر الذي عادة مايحدث في دول العالم الثالث.

على أحدث وسائل التكنولوجيا الحديثة (الأنترنت) وعبر الهاتف الجوال المتطور حيث تصل الدعاية لهم بسرعة حيثما كانوا وبدون كلفة.

ومما هو جديربالذكر أن هناك عناصر جديدة استحدثتها الدول المتقدمة في صناعة الدعاية والاعلام السياحي للترويج عن مرافقها السياحية الطبيعية والتاريخية والدينية للتعريف بالبلد وحضارته وعاداته الاجتماعية مما يتيح للزائر السائح أن يطلع على ثقافات الشعوب الأخرى. ومن بين تلك الوسائل صناعة الأفلام والمسلسلات وهو ماقامت به تركيا في السنوات الأخيرة إذ عكست المسلسلات التي سوقتها للدول المجاورة والعالم جمال الطبيعة وتضاريسها الخلابة ومعالمها التاريخية ناهيك عن طقسها المعتدل مما يجذب إليها اعداد هائلة من السواح سنويا. والأمر نفسه قامت به السينما المصرية وإن كان بشكل غير مباشر.

والعراق ينفرد بمزارات دينية مهمة تحتاج الى دعم حكومي كبير وتحتاج أيضا الى صناعة إعلام سياحي مُتقن لغرض التسويق والاستثمار وتوفير فرص العمل. وهذا لايكون الا برعاية الحكومة وباشراف خبراء متخصصين لوضع خطط تنموية تنهض بالسياحة والاقتصاد معا. وأن يقف بالمرصاد لدحض الإعلام المضاد الذي يروج لدعايات كاذبة واشاعات مغرضة للنيل من سمعة العراق وعرقلة الإستثمار فيه بحجة عدم الاستقرار الامني.

ولا نغالي اذا قلنا بأن الإعلام بكل مصنفاته له الدور الرئيس في السياحة الدينية ويجب أن لا تقتصرمهمته على نقل الصورة والتعليق عليها أثناء الزيارات الدينية الكبرى، وانما تقع عليه مهمة التعريف للشعوب الأخرى بالمناسبة الدينية تاريخيا ومكانة قدسيتها بالنسبة للمسلمين، وهي مهمة تحتاج الى تظافر الجهود في ظل عصر العولمة وعصر الصورة بكل تقنياتها الحديثة. وهنا يجب الاعتماد على أساتذة الإعلام المحترفين والمصورين البارعين وعمل خطة وسيناريوعن الحدث الديني برؤية جديدة والعمل على إبرام عقود إعلانية مع كبرى مع القنوات الفضائية العربية والعالمية لجذب أكبرعدد من السياح. ولا ننسى كيف تم تسليط الضوء عالميا على زيارة البابا وكم أخذت حيزا اعلاميا داخليا وخارجيا من أقصى الأرض الى أقصاها.

وهنا يتوجب على الجهات المسؤولة عن السياحة الدينية وفي مقدمتها الأوقاف (المسلمة والمسيحية) أن تقوم بدورها كما يجب وأن تستثمر الأموال الداخلة لأضرحة الأئمة سواء في تنمية وتطوير هذا القطاع أو في دعم الإعلام لأنه فن وصناعة. وكي يقوم الإعلام بدوره في الترويج للسياحة الدينية لابد من أن تتوفر له مقومات تنموية ليكون صادقا في التعبير ونقل الصورة للسائح

كما هي على أرض الواقع دون مبالغة فلا إفراط ولا تفريط في نقل الصورة وأن يكون الهدف تحفيز السواح للبقاء مدة أطول مما يعود بالتالي بالفائدة الإقتصادية للبلد وللمواطن.

ومن بين أهم الأشياء التي تقع مسؤوليتها على الأوقاف تنمية وتطوير الخدمات السياحية أولا ودعم الإعلام كصناعة ثانيا ووفق مايلي:

1) أن لايكون بناء الفنادق عشوائيا وقريب جدا من الأضرحة المقدسة بما يشوه صورة المكان ويضايق حركة السيرعلى الزائرين، كما هو الحال في كربلاء المقدسة، فلا نسق عمراني هندسي في الفنادق المحيطة ولم يُراع النظام الهندسي العالمي المتطور.
2) أن تعمل على تعبيد الشوارع الفرعية المؤدية للأضرحة وأن تكون متناسقة من حيث الطول والعرض كي لا يتعثر بها الزائر أثناء سيره وأن يُراعى الجانب التاريخي في تسميتها (شارع ابن العلقمي إنموذجا)
3) توفير الخدمات والمرافق الصحية وعربات نقل الزائرين من كبار السن والأسواق التراثية التي تعكس بضاعتها تاريخ البلد وثقافة شعبه.
4) أن تتواجد فرق التفتيش الصحي وخاصة في المطاعم والعربات الجوالة وان تُراعى الشروط الصحية فيما يُقدم من طعام.
5) لابأس من محاكاة التجارب الناجحة في مجال السياحة الدينية في إيران والسعودية.
6) تأسيس شركات سياحية عملاقة يديرها متخصصون في مجال السياحة والإعلام وبما يتناسب والأعداد المليونية الوافدة وأن تعتمد المصداقية في الترويج لخدماتها وإن حصل العكس فمصيرها الإندثار والتلاشي.
7) التركيز على صناعة الدعاية الإعلامية بالمقاطع الفديوية وبثها عبر وسائل التكنولوجيا الحديثة وأن تكون الصورة التي تنقلها مطابقة تماما لما هو موجود على أرض الواقع، لأن لغة الكذب التي تعتمدها بعض الشركات في الداخل سيؤدي حتما لعزوف السائح والزائرعن التعامل معها مستقبلا. فعلى سبيل المثال بعض الشركات السياحية داخل البلاد تعمل كمائن للسائح سواء بالرحلات التي تعملها شمال العراق او خارج العراق وخصوصا مصر حيث تعرض لك شيء وما أن تصل حتى تجد شيئا آخر تماما، وهذا لايصب في صالح السياحة في العراق بل ويسيء لسمعتها. وهو مايستوجب توفر الرقابة الصارمة من قبل هيئة السياحة وعدم السماح لمن هب ودب بفتح شركات سياحية.

الخاتمة:

تشكل السياحة الدينية في العراق موردا اقتصاديا لاينضب لما فيه من مراقد وأضرحة وكنائس ومزارات متنوعة تغطيه من شماله الى جنوبه، وقد شهد بعد 2003 أعدادا غير مسبوقة من الزائرين تزاد عاما بعد عام خصوصا في المناسبات الدينية الكبرى، إلا أن هذه السياحة لم تنل من الإهتمام الحكومي والجهات ذات العلاقة مايكفي لتطويرها وتنميتها ولم تدرك بأن مستقبل العراق الإقتصادي إنما يكمن في السياحة الدينية.

وقد كان لزيارة البابا لمقام براهيم الخليل الأثر الكبير في دق ناقوس الخطر لما تعانيه السياحة عموما والدينية خصوصا من اهمال بحيث صار العمل على قدم وساق في تعبيد الشوارع المؤدية للمقام وتغذيتها بالكهرباء وبقية الخدمات قبيل موعد الزيارة التاريخية لما لها من أهمية كبيرة على كافة الأصعدة ومنها الصعيد الإعلامي حيث تتجه كل أنظار الصحافة العالمية نحو العراق لتغطية زيارة البابا.

ومن هنا كانت نقطة البداية بتوجه الإهتمام الحكومي نحو السياحة الدينية وتقديم كل أنواع الدعم لتنميتها وتطويرها وبما يليق بمكانة العراق الدينية والتاريخية.

المصادر والمراجع:

1) ابن قتيبة الدينوري (1963). الإمامة والسياسة، الجزء الأول، مصر، مصطفى البابي الحلبي.

2) ابن كثير (1986). قصص الأنبياء، الطبعة الثانية، العراق، مكتبة النهضة.

3) احمد عبد (2022). عوامل أمنية وسياسية تؤخر الإستثمار بالعراق، الموقع الإلكتروني (العربي الجديد) https://www.alaraby.co.uk/economy

4) جعفر الشيخ باقر آل محبوبة (1957). ماضي النجف وحاضرها، الجزء الثاني، الطبعة الثانية، العراق، مطبعة النعمان في النجف الأشرف.

5) حسن عيسى الحكيم (2009). الكوفة بين العمق التاريخي والتطور العلمي، الطبعة الأولى، لبنان، العارف للمطبوعات.

6) سلامن رضوان (2018). الإعلام السياحي تحديات ورهانات، مجلة البدر، المجلد 10، العدد 6، الجزائر، المؤسسة الوطنية العليا للصحافة.

7) شروق ماهر (2022). نينوى.. أرض الكنائس والأديرة، جريدة الصباح، الموقع الألكتروني https://khoranat-alqosh.com/?p=15281

8) الطبري (بدون تاريخ). تاريخ الملوك والرسل، الجزء الخامس، الطبعة الثانية، مصر، دار المعارف.

9) قسم الترويج في المؤسسة العامة للسياحة والسفر(1982). العراق.. دليل سياحي، يوغسلافيا، مطبعة بوبلك– بلغراد.

10) الموسوعة الميسرة (1987). الجزء الثاني، لبنان، دار نهضة لبنان للطباعة والنشر.

11) ميادة داوّد (2023). العراق وحلم إنتعاش السياحة، الموقع الألكتروني https://www.irfaasawtak.com/iraq/2023/07/19

12) هاشم حسين ناصرالمحنك (2013). السياحة الدينية وواقع الخدمات الفندقية، الطبعة الأولى، العراق، دار أنباء للطباعة والنشر.